

## العدالة في التربية *Equity in Education*

مياء الكفري\*، فتحية نصرو\*\*

\*مدارس المستقبل، الطيرة، \*\*دائرة التربية وعلم النفس، كلية الآداب، جامعة بيرزيت، رام الله، فلسطين.

بريد إلكتروني: [fnasru@yahoo.com](mailto:fnasru@yahoo.com)

تاريخ التسليم: (٢٠٠٣/٧/٢٠)، تاريخ القبول: (٢٠٠٤/٤/٢٥)

### ملخص

تشتمل هذه الدراسة على دراسة البنية المفاهيمية للعدالة والتربية. وقد تم عرض مفهوم التربية من خلال الأدبيات المكتوبة في مجال فلسفة التربية عبر العصور المختلفة. كما تم التركيز على مفهوم التربية البراجماتية (التعلم بالعمل). وهذا هو المبدأ الأساس لديوي. وعولج هذا المبدأ من خلال علاقته بمفهوم النظام القيمي في الفكر المسيحي والإسلامي. والتقت هذه المفاهيم مع المفهوم الأفلاطوني للعدالة والتربية وهو المفهوم النسبي. إذ إن المفهوم النسبي عامل أساسي في فهم تطور الشبكة المفاهيمية التي يحاول هذا البحث الوصول إليها عن طريق الإجابة عن سؤال: ماذا تعني العدالة في التربية؟ ويعتبر العامل النسبي أساسيا لتبرير التعامل مع الفروق الفردية بين المتعلمين في العملية التعليمية. كما أن حوارات أفلاطون هي المظلة الرئيسة للمفهوم الأخلاقي الذي يراعي قدرات واستعدادات كل متعلم، إذ إن جميع الأفراد لديهم نفس القدرات الكامنة للتعلم والمعرفة والعمل. فلكل فرد الحق في أخذ الفرص المتساوية للتعبير عن ذاته نحو الأفضل لتحقيق الذات. ويعتبر أفلاطون الفضائل ثلاث، فإذا خضع العقل لفضيلة الحكمة فإن الفرد يسعى لتطوير ذاته ليصبح في طبقة الفلاسفة. أما إذا خضعت القوة الغضبية لفضيلة الشجاعة فإن الفرد يسعى لأن يكون في طبقة الجند. والفضيلة الثالثة تتمثل في خضوع الشهوة للعفة والإنتاج عندها يكون الفرد في طبقة الصناع أو العمال. وعلى كل فرد السعي لتحقيق التوازن بين الفضائل الثلاث داخل نفسه أولا وبينه وبين مجتمعه ثانيا، فما الفرد إلا صورة صغيرة عن مجتمعه وما المجتمع إلا صورة مكبرة للفرد. وتعتبر حالة التوازن المحور الأساسي لمفهوم العدالة عند أفلاطون. وخلصت الدراسة إلى مجموعة من الاستنتاجات والتوصيات للتعامل مع احقاق العدالة في التربية.

### Abstract

This paper introduces a conceptual framework for education and equity. The concept of education was developed in light of the available literature in the field of

philosophy of education. The emphasis was on the concept of pragmatism in education. Learning by doing is a major principle taken from Dewey and was analyzed as it relates to the value system in Islamic and Christian thought. The foundation of education as it relates to equity was introduced in relation to Plato's Republic. Equity education as originated in Plato's work assumes that justice is relative. The concept of relativity principle is basic to the development of a conceptual web that this work attempts to produce. The principle of relative justice is seen basic to justify dealing with individual differences in the educational processes. Plato's dialogue (dialectic method of searching for truth) is the main tenet for ethical practices in education. People are viewed to be equal in their potential to know, learn and act. Consequently people are entitled to have equal opportunity to self-actualization. Each individual is created with a readiness to be developed to the best of his/her inner resources. Yet the resources though equal in quality of human elements (i.e. intellect, rage and biological instinct) yet each element is viewed to have its equal finality according to its positional value in the individual human system. If the intellectual component was in the leading positional value, the individual has to be developed to actualize the virtue of intellect by becoming a philosopher. If rage was in the leading positional value then the individual has to be developed to actualize the virtue of courage. However if the instinct of pleasure was in the leading positional value the virtues to be developed has to be the industrious talent of producing goods. Each individual however has to be trained to maintain balance among the three virtues in him as an individual and between himself and society as a citizen. This concept of balance is a principle tenet in Plato's equity education. Finally the researchers gave the conclusion remarks and their recommendations based on the conceptual web on education and equity which was presented in this paper.

#### مقدمة

اختارت الباحثتان موضوع العدالة في التربية لأهمية هذا الموضوع في تطوير النظام التربوي بشكل عام، والاهتمام بتطوير المتعلم ونمائه القيمي بشكل خاص، إلا أن هذا الموضوع على أهميته يواجه مشكلتين رئيسيتين: الأولى قلة توفر دراسات ميدانية بشكل جاد وكاف لما يعرف بالحس في العدالة وأثر ذلك على محاور العملية التربوية، على حد علم الباحثتين. والثانية أن موضوع العدالة بحد ذاته على المستوى النظري في أدبيات التربية يبقى موضوعاً جدلياً وتجريدياً. وليس هناك إجماع على مفهوم العدالة ليعرف إجرائياً ويقاس. وبالرغم من هذه الصعوبات فإن هناك ضرورة البحث في هذا المجال، ومحاولة

إثراء الأدبيات البحثية التربوية في مجتمعنا المحلي والمجتمع العربي من موقع الالتزام بأهمية العدالة كمرجعية للنظام القيمي في تكوين الفرد وبالتالي تكوين المجتمع.

### مشكلة الدراسة

تتمثل مشكلة الدراسة الحالية في البحث عن مفهوم العدالة في التربية كما دلت عليه الحقب التاريخية المختلفة. وتشتمل هذه الدراسة على أحد المحاور الرئيسة من دراسة أعدتها الباحثة الأولى لرسالة ماجستير في التربية في موضوع العدالة في التربية ( Equity in Education ) استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير في جامعة بير زيت، بينما أشرفت الباحثة الثانية على تلك الرسالة وقامت بتنقيح هذا الجزء وإعداده لأغراض النشر. وقد أعدت الدراسة الحالية: **العدالة في التربية** بغرض البحث في أصول نظام قيمي يقوم على العدالة في تكوين الفرد، وبالتالي تكوين المجتمع.

### أسئلة الدراسة الحالية

١. ما هو مفهوم العدالة في التربية عبر العصور وفي التوجهات التربوية المختلفة؟
٢. ما هي قيمة العدالة في التربية للفرد وللمجتمع؟
٣. هل يوجد أرضية مشتركة بين الاتجاهات الدينية والوضعية بالنسبة لمفهوم العدالة في التربية وأثره على الفرد والمجتمع؟

### مصطلحات الدراسة

١. **مصطلح العصور في الثقافات المختلفة**، ويقصد به الرجوع إلى عصر ما قبل الميلاد في التربية اليونانية وتحديداً كما ورد في فكر أفلاطون، التربية المسيحية في أصولها الدينية قبل العصور الوسطى، والتربية الإسلامية في نصوصها ذات العلاقة بمشكلة الدراسة، والتربية الحديثة كما وردت في النموذج الأمريكي وتحديداً فكر جون ديوي، والنموذج الاشتراكي وتحديداً في أدبيات تولستوي.

٢. **مصطلح الاتجاهات التربوية الدينية**، ويقتصر المصطلح في هذه الدراسة على الديانة الإسلامية والمسيحية.
٣. **مصطلح الاتجاهات الوضعية**، ويقصد به ما قدم من فكر تربوي من المفكرين في الحقب ذات العلاقة وتحديدًا ما قدمه أفلاطون قبل الميلاد، وجون ديوي وتولستوي في العصر الحديث.

### أهمية الدراسة

- تبرز أهمية موضوع الدراسة الحالية في محاولة إرساء نظام مفاهيمي قابل للاستيعاب نظم فرعية مفاهيمية، قادرة على بناء مرجعية جدلية مناسبة للحوار في موضوع ديمقراطية التربية من منظور متعدد. وتتطلب الباحثان بأن الهدف من التربية الديمقراطية لا يتحقق بدون العدالة في التربية. وأن أي محاولة لدمقرطة التربية لا بد لها من فهم العدالة والتربية في حقبها التاريخية المختلفة. ويمكن تلخيص أهمية الدراسة في الجهات المستفيدة منها كما يلي:
١. للدراسة الحالية قيمة نظرية في مجال الأصول التربوية وخصوصاً للمتخصص في التربية في الوطن العربي.
  ٢. المفاهيم الفرعية الناتجة عن البحث في مفهوم العدالة في الدراسة الحالية تثري المربين من المعلمين والإداريين وأصحاب القرار التربوي في إكتساب حس من العدالة في التربية وما يترتب عليها من قيم ضرورية لأغراض توجيه اتخاذ القرارات بشكل أفضل لسعادة الفرد المتعلم والمجتمع الذي يوكل مهمة التربية الرسمية لأصحاب القرار.

### حدود الدراسة

١. تقتصر الدراسة الحالية على البحث في المفاهيم في أدبيات التربية ذات العلاقة بمشكلة الدراسة.

٢. التوصل إلى استنتاجات مفاهيمية للعدالة في التربية ولا تبحث في التطبيقات العملية لتلك المفاهيم حيث أن النواحي التطبيقية تحتاج لدراسة ميدانية ربما تأسيساً على بعض المفاهيم التي تتوصل لها الدراسة الحالية.

### منهجية البحث

تم الاتفاق على اختيار المنهجية النظرية الكيفية لدراسة هذا الموضوع فهي منهجية تحليل النظم (System analyses) (Bertalanffy, 1968: 11-36)، كما حددت مشكلة الدراسة لرسالة الماجستير الآنف الذكر في البحث في محاور الموضوع الرئيسة بما فيها مفهوم العدالة في التربية، وثقافة المدرسة والعدالة، والتخطيط التربوي والعدالة، ثم أساليب التدريس والتقييم المناسبين لإحقاق العدالة. واختتمت هذه المحاور بفصل خاص يشتمل على الاستنتاجات والتوصيات التي تخدم تطوير النظام التربوي الفلسطيني من حيث المنظور التربوي القائم على العدالة، والذي يؤمل أن ينعكس بالضرورة على الفعاليات التعليمية في المؤسسة التربوية وتحديدًا المدرسة ومجتمعها من متعلمين ومعلمين وإداريين. ويذكر هنا أن الدراسة الحالية في هذه الورقة تختص بالمحور الأول فقط. وتكون منهجية البحث الحالي قائمة على اعتبار مفهوم العدالة نظاماً يتكون من مجموعة من الأنظمة الفرعية التي تعمل بدورها على القيام بتوضيح المفهوم بشكل متناسق ليؤدي للإجابة على الأسئلة التي تطرحها مشكلة الدراسة. كما يعمل على الانتقال في المسار المفاهيمي انتقالاً منطقياً يمكن من التوصل إلى المفاهيم الفرعية ذات العلاقة بالمفهوم العام للعدالة من جهة وللتربية من جهة أخرى، ثم يعود التحليل ليعتبر التعامل مع المفهومين للعدالة والتربية لنظام مفاهيمي واحد كون فيه كل من المفهومين نظاماً فرعياً.

## مفهوم العدالة

**تقديم:** تعني العدالة حسب المنجد في اللغة والإعلام - الإنصاف\* ، والإنصاف من الفعل "نصف" أي بلغ النصف وتساوى النصفان: تعادلا، وأنصف الرجل: كان عادلا، وأنصف الخصمين: سوى بينهما وعاملهما بالعدل. إذن الإنصاف يعني المساواة. والعدل بين طرفين أو أكثر. فما هو مفهوم العدالة عبر التاريخ؟ إن العدالة والحس بها موضوع تاريخي تغير وتطور مع نشوء المجتمعات. فطبيعة النظام الاجتماعي والسياسي والقوانين السائدة في كل مجتمع تفرض مفاهيم للعدالة حسب واقع هذا المجتمع وما يسود فيه من قيم وعادات وقوانين. فالأخلاق مفهوم إنساني نسبي تفرضه قيم وثقافة المجتمع. ومنذ الأزل والبحث عن موضوع العدالة موجود ما دام هناك أناس يتعايشون في هذه الدنيا. اختارت الباحثتان أربعة نماذج للتربية والعدالة في حقبة تاريخية متتالية وهي: التربية والعدالة في الفلسفة اليونانية قبل الميلاد، وتحديدًا في فلسفة أفلاطون، التربية والعدالة في التربية المسيحية بعد الميلاد مباشرة، وخلال العصور الوسطى، التربية والعدالة في التربية الإسلامية، "منذ صدر الإسلام، وحتى نهاية العصر العباسي" والتربية والعدالة في العصر الحديث كما تظهر في الدول الاشتراكية والرأسمالية.

## مفهوما العدالة والتربية في الفلسفة اليونانية

الفلسفة اليونانية خير مثال لفترة ما قبل الميلاد، وهذا لا يعني انتقاصا من فلسفات أخرى كالصينية مثلا. ولكن أخذ مثال على كل فترة تاريخية يغني البحث دراسة وتحليلا بدلا من اخذ نماذج مقتطفة من هنا وهناك. وفي هذا الصدد كتب شابلين (Chaplin, 1968:366) عن حياة أفلاطون (٤٢٧ - ٣٤٧ ق.م) الكاتب والفيلسوف الإغريقي، فقال: تلقى تربية أثينية تهتم بالموسيقى والأدب والرياضة، وعندما بلغ الثانية عشرة من عمره التحق بمدرسة سقراط ولازم معلمه هذا إلى أن توفي، سقراط، عام (٣٩٩ ق.م). وكان

\* ط ٣٢، دار الشرق، بيروت، لبنان، ١٩٩٢.

أفلاطون قد بلغ آنذاك الثامنة والعشرين من العمر. وبعدها تنقل بين مصر وأثينا وصقلية ولكنه عاد إلى موطنه لينشئ أكاديميته على حديقة منزله في أثينا، متبعا أسلوب الحوار والمناقشة في أكاديميته التي استمر فيها نحو أربعين عاما. فاشتهر من تلامذته عدد غير قليل وعلى رأسهم "أرسطو" الذي نقل معظم ما كتب أفلاطون. فقد كتب أفلاطون كتبا عدة يعيننا منها: الجمهورية، والقوانين.

بين غالب (١٩٨٥: ٦٤-٩٤) أن أفلاطون عالج الكثير من النواحي الاجتماعية التي كانت تتسلط على البيئة اليونانية وخاصة أنه عاش زمن حروب ومنازعات بين مختلف الدويلات اليونانية كأثينا وإسبرطة. وأشار إلى أن أفلاطون تساءل في كتابه "الجمهورية" عن كيفية الوصول إلى العدل ليصبح أساسا للحياة الاجتماعية. للإجابة عن هذا السؤال قسم أفلاطون المجتمع إلى ثلاث فئات (الحكام، والجند، والصناع)، ووضع لكل فئة نظاما تربويا خاصا بها، وليصل إلى هذا المفهوم تعمق في النظر في نفسية الفرد والسلوك الإنساني فكان يرى الفضائل ثلاثا: الحكمة فضيلة العقل، والعفة والإنتاج فضيلتا الشهوة، والشجاعة فضيلة القوة الغضبية، فإذا خضعت الشهوانية للغضبية، والغضبية للعقل تحقق في النفس النظام والتوازن، ويسمى حالة التوازن هذه بالعدالة عند الفرد. وما الفرد إلا صورة لمجمعه، وما المجتمع إلا فرد مكبر.

أما العدالة فتتحقق بانتلاف القوى المختلفة في المجتمع وقوى الفرد ككل، فالكل يطلب السعادة، التي يراها تتبع العدالة، ومن هنا جاء تقسيم أفلاطون للمجتمع إلى ثلاث طبقات: طبقة الفلاسفة وعملها البحث عن المعرفة وفضيلتها الحكمة، وطبقة الجند وهم الذين يختصون بالدفاع عن البلاد وفضيلتهم الشجاعة والشرف، وطبقة الصناع أو العمال ووظيفتهم الصناعة والتجارة وفضيلتهم الإنتاج.

وتتحقق العدالة في المجتمع إذا حكمت طبقة الفلاسفة وأطاعها الجند وتعاون معها العمال. فالعدل عند أفلاطون هو البحث عن الحقيقة، فالعدالة رأس الحكمة، والحاكم هو الذي لا يسمح لنفسه باستخدام الشر كأداة للتعبير عن اهتمامه بالخير بل هو الإنسان الباحث

عن الحقيقة ليجد الخير في الإنسان، وما الخير إلا ما يستطيع الإنسان القيام به ليتناسب ويتناغم مع قدراته.

توصل أفلاطون إلى كل هذا عن طريق الحوار فكان يطرح أسئلة ويترك النقاش لتلامذته دون أن يفرض عليهم رأياً أو عملاً. نأخذ مثالا عن الأسئلة التي تمت مناقشتها، من المألوف أن يكون للإنسان أصدقاء وأعداء؟ فهل من العدل أن تعطي الصديق خيرا وتقوم بعمل شرير لتؤذي عدوك؟ قد يكون الجواب الظاهري بالإيجاب، لكن بعد التمعن بالحوار يظهر أن من يبدو لك صديقا قد يكون عدوا والعكس صحيح. وحيث أن الباحثين لا تدریان أين الحقيقة، فإن عليهما أن تستمرا بالبحث عن الحقيقة التي تتطلب البحث عن الخير. وهذا هو ما يمنع الفرد من الأذى، وفي هذا السلوك يتجلى تطبيق العدالة.

وبين بروبيكر (Brubacher, 1966: 101-105, 347,508) أن التوازن والانسجام بين القوى الثلاث يوضح مفهوم العدالة عند أفلاطون. وبهذا يكون أفلاطون قد وضع مفهوم العدالة النسبي وبين رفضه المفهوم المطلق. فهو يرى أن التوازن بين الفضائل الثلاث يدير قوى النفس. وحالة التناسب هذه هي العدالة. باعتبار أن العدالة هي إعطاء كل ذي حق حقه. فليست العدالة فضيلة خاصة، ولكنها تمثل حالة الصلاح الناشئة عن اجتماع الحكمة والشجاعة والعفة. ولقد أدرك أفلاطون صعوبة تحقيق مثل هذا التوازن وأن مثل هذه المعرفة لا تتأتى في مجتمع تسوده الفوضى لذا لا بد من حكومة جيدة. ولن يتم ذلك إلا إذا كانت طبقة الفلاسفة هي الحاكمة، فكيف لها أن تسود إن لم تكن قد تلقت تربية جيدة؟ يرى أفلاطون أن هدف التربية هو الوصول بالإنسان إلى اكتساب المهارات والقدرات التي تنمي العناصر الجيدة فيه إذ إن كل إنسان مفطور على استعدادات للتعلم. وحقه في التعلم حق للجميع ومهمة التربية اكتشاف ما لدى الفرد من قدرات واستعدادات. أما انتساب الأفراد إلى هذه الطبقات فيرى أفلاطون انه ليس مقيداً بالأصل والنسب، بل إن نظام التربية هو الكفيل بأن يكشف عن انتماء الفرد إلى أي طبقة من تلك الطبقات. إن التربية حسب هذا المفهوم كفيلة بأن تكون عاملا في بناء شخصية الفرد وسعادة المجتمع.



ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل وضع أفلاطون خطة تربوية تهدف إلى الاحتفاظ بما بناه القدماء فيبدأ في تربية الطفل وهو في سن السابعة ويستمر حتى السادسة عشرة أو السابعة عشرة وفي هذه الفترة يتعلم الطفل الموسيقى والرياضة البدنية، فالموسيقى من أجل انسجام الروح والرياضة لإصلاح الجسم. وينتقل بعدها الشاب إلى تعلم الفنون العسكرية، وفي السنوات الأولى يكون الطفل قد تعلم مبادئ الحساب والقراءة والكتابة. ويرى أفلاطون أن هذه المواد يجب ألا تقدم على شكل كتاب ومواد منظمة، فليس من العدل استعمال الكتاب المقرر كأساس للتعليم، لأن الكتاب في نظر أفلاطون جامد غير مرن فالمنهاج يجب أن يقوم على الحوار ويتيح للفرد أن يعبر عما يجول بخاطره وعند ذلك يصل الطالب إلى فهم حقيقة ما يتعلمه.

شبه أفلاطون التربية بالزراعة فحتى ننتج الزراعة المطلوبة علينا أن نكتشف نوع التربية الضرورية لهذا الإنتاج، وعليه فإن التربية العادلة هي التي تقدم للطالب ما يناسب قدراته وحاجاته أي أن على المعلم اكتشاف قدرات وميول الطالب وحاجاته ليقدّم له ما يلائمه وذلك من أجل أن يعمل على تطويرها (Brubacher, 1966: 101-105, 347, 305). وبهذا يكون أفلاطون قد أرسى القاعدة الأساسية للتعامل مع الفروق الفردية.

بين مونرو "تر" عبد العزيز، (١٩٥٨، ص: ١٣٥-١٥٢) أن أفلاطون يرى الرياضة البدنية الإجبارية ضرورية للجسم ولكنه رأى أن الرياضة العقلية الإجبارية لا قيمة لها إن لم يكن الطالب على استعداد لتقبلها وتفهمها بما يتلاءم مع ميوله وقدراته. وعليه يكون ما تعلمه الطالب ذا نفع له ولمجتمعهم وعندها يشعر بقدرته على التعبير عن نفسه بسهولة ويسر. هذا هو مفهوم العدل التربوي عند أفلاطون، والذي ضمنه في كتابه "القوانين". وإن كان هذا الكتاب نتاج شيخوخته، بينما كان كتاب الجمهورية نتاج شبابه. يمكن القول إن خطة أفلاطون في التربية مثالية "يوتوبيا"، إذ إن التربية التي تعطي المجال للفرد ليصل إلى أقصى ما يمكن الوصول إليه لا بد أن تعمل على تكوين الرجل الحر وهذا هو التفسير الحقيقي للمثالية في التربية. ومهما يكن من اختلاف في مفهوم التربية من عصر إلى عصر. فإن آراء أفلاطون تعتبر مرجعا؛ فهو أول من حاول حل المشكلة التربوية التي اعترضت

من سبقوه، وهي مشكلة النزاع بين صالح الفرد وسعادة المجموع. إن ما وضعه أفلاطون ظلّ مرجعاً لجميع من أرادوا مصلحة الإنسانية وتقدمها. فكان تفكيره أرقى من مستوى التفكير في عصره.

وبين بروبيكر (Brubacher, 1994: 34) ومنرو "تر" عبد العزيز (١٩٥٨: ١٣٥) أن أفلاطون طالب بالمساواة بين المرأة والرجل وإن لم يحظ هذا الرأي بالتأييد؛ لأن الإغريق كانوا يهتمون بالدرجة الأولى بتربية أولادهم تربية أخلاقية تتناسب وقيمهم. ولكن أفلاطون لم يهمل المرأة فعند مناقشته للدولة المثالية رأى ضرورة احتوائها على جميع مظاهر النشاط الاجتماعي؛ فليس للرجال وظائف خاصة بهم في مجال إدارة الأعمال الحكومية، ولا للنساء وظائف خاصة بهن، لذا يجب أن تتعلم المرأة وتصبح صالحة لخدمة المجتمع مثل الرجل سواء بسواء، وتربي المرأة على نفس الأسس التي يربي عليها الرجل فما هي إلا رجل ضعيف.

كما وضح منرو "تر" عبد العزيز (١٩٥٨) أن ثمة مبدأ آخر من مبادئ التربية لا يمكن تجاهله عند أفلاطون وهو الجمع بين جانبي التربية: النظري والتطبيقي، وما الناحية النظرية إلا مرشد للناحية التطبيقية. فالمعرفة النظرية ترشد للخير أما الناحية التطبيقية فتعمل على تطبيق ذلك. ويتم التفاعل بين هذين الجانبين وبدون هذا التفاعل لن ينجح أي منهما. فالمعرفة هي الفضيلة، والبحث عن الحقيقة هو الأساس في التعلم. والطريق للحقيقة هو الحوار فلا يجوز الأخذ بالظاهر، إن العلاقة بين النظرية والتطبيق علاقة جدلية تتجسد في كل موقف. وعلى الإنسان فحص ذلك السلوك المترتب على الموقف بموجب مبدأ أساسي هو العدالة. وعن طريق الحوار والاستقراء يصل المتعلم إلى تطبيق هذه المفاهيم والتي تتشكل من مواقف حياتية يمكن نقلها إلى مفاهيم. ويتبين ذلك بوضوح في موقف أفلاطون من الوصول إلى مفهوم العدالة عن طريق الحوار، وبهذا العنصر يكون أفلاطون قد أرسى العلاقة بين الفكرة والتطبيق التي تظهر من خلال الحوار حول أمثلة من الواقع المعاش، وهذه العلاقة بين الجانبين هي من أهم عناصر التربية الحديثة. ويظهر من خلال الحوار أن أفضل أنواع المعرفة هي تلك المعرفة التي تكسب الحياة قيمة.

يستخلص مما سبق أن أفلاطون أرسى وعن طريق الحوار مبادئ خمسة في التربية العادلة هي:

١. إن التربية عملية مستمرة تقوم في الأساس على اكتشاف طبيعة المتعلم وما لديه من قدرات واستعدادات في أحسن صورها من الخير والجودة لدى الفرد لتتمكن من توجيهها ليكون فردا منتجا في المجتمع ويعمل لما فيه خيره وسعادته وبالتالي سعادة مجتمعه. ولكي يتم ذلك لا بد من إرساء أسس لتطبيق مفهوم العدالة، ليتمكن كل فرد من الانتماء لما فيه خيره وخير مجتمعه.
٢. إن العدالة لا تتفصل عن الخير وهي الفضيلة، والتي تمثل التوازن بين الفضائل الثلاث المكونة للفرد. وعليه يكون مفهوم العدالة مفهوما نسبيا عند أفلاطون.
٣. يكون التعليم عادلا وعلى أحسن صورته إذا توفر جو يتيح للمتعلم أن يعبر عن ذاته وأفكاره في حرية ودون قيود، كل حسب قدراته وإمكاناته. فللمتعلم الحق في السؤال والتعبير والاستيضاح، والمعلم هو الشخص العادل القادر على أن يعطي هذه الفرصة للمتعلم ليكون مواطنا صالحا. وقد حدد أفلاطون مفهوم المواطن الصالح بقوله: "إنه الفرد القادر على المشاركة في خدمة المجتمع المتكامل حسب ما لدى هذا الفرد من قدرات أعد لاستخدامها على أحسن وجه" (Brubacher, 1966: 508).
٤. مكونات الفرد والمجتمع من حيث الفضائل الثلاث واحدة، وعليه فإن الفرد صورة للمجتمع، والمدرسة تعد الفرد ليأخذ دوره على هذا الأساس، أي إن المدرسة تأخذ بيد الفرد ليصبح عضوا عادلا في مجتمع عادل. وهذا هو الوضع المثالي للفرد الذي ينشأ على أسس التربية العادلة ليكون عضوا فاعلا في مجتمع عادل.
٥. لا يتحقق العدل في الدولة إلا إذا توفر نظام تربوي عادل ولا يتحقق النظام التربوي العادل إلا إذا توفرت الدولة العادلة.

بعد هذا العرض لمفهوم أفلاطون حول العدالة والتربية. والذي ركز فيه على النفس البشرية، وضرورة التوازن بين الفضائل الثلاث لتتم العدالة وتحقق سعادة الفرد وسعادة

المجتمع، تتناول الباحثتان الآن العدالة ومفهومها في التربية المسيحية، وهل تأثرت بالفلسفة اليونانية؟

### التربية المسيحية والعدالة

بين تانر وتانر (Tanner and Tanner, 1975) في الفصل الأول من كتابهما " تطوير المناهج من النظرية إلى التطبيق" ما يمكن تلخيصه بأن التربية المسيحية انتشرت في القرن الأول الميلادي عندما كانت الثقافة الإغريقية في أوج تأثيرها في الرومان، فانتشرت وساعد على انتشارها اقترابها من مفهوم الثقافة الإغريقية للأخلاق وخصوصا ما قدمه أفلاطون من منطق يساعد على فهم القيم والفضائل التي تقترب إلى حد بعيد من المفاهيم التي تدعو إليها المسيحية. وحيث أن الرومان كانوا قد وصلوا إلى قناعة بأن التهذيب الأخلاقي ضروري للمواطنة وأن العودة إلى التربية الكلاسيكية في فلسفة أفلاطون تمكنهم من تحقيق المواطنة، لذا أسرعوا لتقبل التربية المسيحية ونشروها باستخدام منطق أفلاطون.

كما بين الفار (٢٠٠٠: ٤٦ - ٤٧) أن المسيحية عقيدة ودين تمتلك فكرا متكاملا حول التربية والتعليم. فالإنسان قيمة بحد ذاته. ويستمد هذه القيمة من الله تعالى فقد خلقه على صورته ومثاله. ولكل إنسان كرامته، واحترامه يعني احترام الله ذاته. وعلى الإنسان أن يتدرب ليصل إلى الفضيلة والخير. كما يقدم الفكر المسيحي السيد المسيح كمثال شخصي متكامل للإنسان الجديد. فلا بد من أن يكون هناك مثال يحتذى للناس. وتهتم التربية المسيحية بضرورة احترام العقل البشري. لذا وجب تنميته والسهر عليه ليصل إلى الطريق القويم وهو سعادة الفرد وسعادة الإنسانية جمعاء.

وبين سيلز (Sills, 1986: 342) أن مفهوم العدالة عند المسيحية يتضمن معنى الفضيلة (مثل المحبة التي يكون العدل طريقاً للوصول إليها كما الفضائل الأخرى). ويتطابق تماما مع المفهوم الأخلاقي الذي نادى به أفلاطون، وظهر ذلك بوضوح في "العهد القديم" إذ عرفت العدالة بتعريفات مختلفة تتضمن الفضائل الأساسية مثل المحبة والتسامح، التي يجب أن نلمسها بوضوح في سلوك الكاهن المقدس، وأن العدالة وتطبيقها يكفیان لإدراك السلوك

المقدس الذي نادى به الرب. جاء في العهد القديم أن العدالة تكمن في اتباع القوانين وتنفيذها، والقانون قد يكون صارماً وهنا لا بد من مثل أعلى يجب على الفرد اعتباره قدوة يحتذى بها، ولا بد من رؤية واضحة لهذا المثل، وتفهم للقوانين ليسهل عليه تنفيذها، وبالتالي تطبيقها على جميع الناس بالتساوي. وعلى هذا فإن العدالة عكس الظلم والاضطهاد، وحتى تعرف العدالة لا بد من نظام أخلاقي يتبع وليس فقط تطبيقاً للقوانين الموروثة. ويذكر هنا إن الإنجيل جاء ليكون عملياً وليس نظرياً فقط.

وأشار بندلي (١٩٩٣: ٥٢-٥٣) أن السيد المسيح أكد على أهمية العدالة كفضيلة وذلك عندما أوصى بأن يلتزم كل واحد نحو غيره، إذ قال: أدوا ما لقيصر لقيصر، وما لله لله" (متى، ٢١: ٢٢). فالعدالة في المسيحية معيار اجتماعي يوجه معاملة الناس لبعضهم البعض، لأنه إذا هضمت حقوق كل فرد أهملت الواجبات وعندها تصطدم المصالح وتعم الفوضى ويستبد القوى بالضعيف. وترى المسيحية أن احترام الحقوق والوفاء بالواجبات هما عنصرا فضيلة العدالة. كما قسم بندلي (١٩٩٣) العدالة إلى تبادلية وتوزيعية وقانونية. فالعدالة التبادلية (communicative) هي العدالة التي ترغب في أن يعطي الإنسان ما عنده للآخرين فيتم التبادل فيما بينهم إلى درجة المساواة الحسابية. أما العدالة التوزيعية (distributive) فهي التي ترى أن على الحكام توزيع خيرات وأعباء المجتمع بحسب جدارة أعضائه وقدراتهم. أما العدالة القانونية - أطلق عليها توما الاكوييني تسمية العدالة العامة - فتحلل إلى حقوق وواجبات. واستعمل بيوس الحادي عشر ١٩٣١ اصطلاح العدالة الاجتماعية ليعين الانسجام مع الصالح العام وبخاصة في المجال الاقتصادي.

وبين صباح (١٩٩٨: ٤٥-٦٣) أن أساس العدالة في المسيحية يكمن في حقوق الإنسان والتي تنبثق من كرامة الفرد. ولكن مقابل كل حق يوجد واجبات أهمها الاعتراف بحقوق الآخرين. وهناك تسلسل هرمي للحقوق. فحق الإنسان في الأكل أهم من حق آخر في مادة كمالية. وكلما كان حق الفرد ضرورياً لضمان الكرامة الإنسانية زادت قيمة هذا الحق وأهميته. لقد لاقت المسيحية في صراعها ضد آخر معقل للوثنية في روما الكثير من العقبات، وعليه كانت الحياة في الكنيسة الأولى حياة مدرسية على جانب عظيم من الأهمية. إذ كان

التبشير بالمسيحية ذا صبغة معرفية، وعليه يصبح من الضروري دراسة التربية الدينية باعتبارها عنصراً من عناصر التربية بمعناها الواسع.

وبين منرو "تر" عبد العزيز ( ١٩٥٨ : ١٣٥-١٥٢ ) أن المسيحية هدفت في أطوارها الأولى إلى إصلاح العالم من الناحية الخلقية، لذا نشأت الحاجة الملحة لإيجاد نظم للتعليم تهدف إلى تعليم الأخلاق للأفراد، وان كان الهدف تهذيباً عقلياً إلا انه في نفس الوقت تهذيب خلقي، فكان للموسيقى دور عظيم في التعليم. وعليه كان اهتمام المسيحية بترتيل المزامير ترتيلاً موسيقياً، وهنا يظهر التشابه مع التربية الإغريقية في أهمية الموسيقى في تهذيب النفس. أما أسلوب التدريس فكانت المدارس التي تعنى بتدريس تعاليم المسيحية تعرف بالمدارس الحوارية أي التي تعتمد الحوار أساساً للتوصل إلى المعرفة، وهنا نلمس اتصال المسيحية بالفلسفة اليونانية وتأثرها بها، وبخاصة فلسفة أفلاطون القائلة: إن الفلسفة ما هي إلا البحث عن الحقيقة من أجل سعادة البشرية جمعاء. وستأخذ الباحثان الحاليان الرهينة كمثال على التربية المسيحية. إن لفظ الرهينة ينطبق على حياة الراهب المنعزل المنقطع للعبادة بعيداً عن الحياة الدنيوية باعتبارها وسيلة تهدف إلى ترويض النفس، فهي تهدف في الوصول بالروح إلى أرقى درجات الكمال. وهناك عاملان ساعدا على تطور الرهينة الأول يتمثل في الاضطهاد الذي لحق معتنقي المسيحية مما دفعهم إلى الاعتصام بالصحاري. والثاني يتمثل في الاعتقاد بأن المسيح سيظهر مرة ثانية وعليهم الاستعداد الروحي لاستقباله والحياة الجديدة. وبين عساف (١٩٤٨ : ٨٨-٩٧) أن الرهينة ظهرت بداياتها مع تجربة القديس بندكتيت Benedict إذ استطاع أن ينجو بنفسه من الحياة في روما وأن ينعم بالعزلة. وسرعان ما اجتمع حوله كثيرون ممن بهرهم إخلاصه وتعبده، فكوّن مجتمعاً له نظام سارت الأديرة على خطاه. وكان يرى أن من الواجب أن نجعل العقل والروح في عمل دائم لا ينقطع. وإلا سيتجهان للشور والاثام. فنراه يحدد سبع ساعات للعمل اليديوي وساعتين إلى خمس ساعات للقراءة. لذا كان على الراهب أن يتعلم القراءة والكتابة ومن ثم يعلمها للمبتدئين. وكان أهم ما يميز نظام الأديرة الطاعة العمياء والتمسك بالعمل اليديوي. ويعتبر هذا النظام خطوة

جريئة في مجال التربية؛ إذ إن العمل اليدوي كان وسيلة للحصول على فوائد اجتماعية، فالديرية في معناها الواسع كانت ضرباً من ضروب التربية.

أما بالنسبة إلى أساليب التدريس، فقد اعتمد المدرسون الطريقة المنطقية التي تقوم على أساس المنطق القياسي. إذ إن التربية المسيحية كانت تركز على خلاص النفس البشرية من الشرور والآثام. لذا كان المدرسون يعتمدون ما له علاقة بالأمر الديني فلا خلاص إلا بالتوجه نحو تعاليم الدين. كما اهتمت التربية المسيحية في تطوير المنهج المدرسي الخاص بتطبيق الفنون السبع وهي: الثلاثيات (النحو، والمنطق، والخطابة) والرابعيات (الحساب، والهندسة، والموسيقى، والفلك) وتم التركيز على الثلاثيات. وشهد القرنان الثالث عشر والرابع عشر اتفاق الفلسفة واللاهوت. فانتشرت المبادئ الفلسفية مصبوغة بالصبغة المسيحية، وظهر هذا في آراء توما الاكوييني (١٢٢٥ - ١٢٧٤).

وقال شهلا (١٩٦٥: ٧٠-٧٧) إن الإكوييني ترك أثراً في فلسفة التربية الكاثوليكية لا تقوى على محوه الأجيال. ولبدء الحديث عن الإنسان كمتعلم تبنى الإكوييني مفهوم أرسطو في أن التربية تتضمن النشاط الذاتي للفرد المتعلم. وعبر "الإكوييني" عن ذلك حين شبه مهنة التدريس بمهنة الطب، فالطبيب لا يستطيع شفاء المريض دون دواء، وكذلك المعلم لا يستطيع تعليم الطالب دون أن يعمل على تحفيز قدراته الكامنة من أجل التعلم. فالتربية لا تعتبر فرض أمور على الطالب من خارجه. وإنما هي استثارة لقدرات الطالب الداخلية، فإذا ما أثرت حواس الطفل عن طريق الوجود المادي للأشياء في الطبيعة أو من خلال الكلام المكتوب أو المحكي من قبل المدرس عند ذلك يكون العقل قادراً على رسم معنى لهذه المدخلات التي تصل عن طريق الحواس.

ويلاحظ أن فلسفة الإكوييني التربوية مبنية على نظرية الاستقراء التربوي التي قال بها أرسطو وأن الهدف النهائي للتربية هو الوصول إلى السعادة عن طريق الفضائل الخلقية والفكرية. كما أن الإيمان بالخالق عند المسيحية كان له أكبر الأثر على الممارسات التربوية. ويذكر أن الإكوييني وقف حياته في خدمة الكنيسة والمطالعة والتأليف والتعليم. فأحدث تجديداً في طريقته ومواضيعه. ويظهر أن الإكوييني ميّز بين علم الفلسفة وعلم اللاهوت، وهكذا بدأ

يخلق له أسلوباً خاصاً وطريقة سميت "الطريقة التوماوية" التي ظلت مرشداً للكنيسة الكاثوليكية إلى يومنا هذا.

من خلال هذا العرض يتبين مدى تأثير التربية المسيحية بالفلسفة اليونانية وخاصة أفلاطون وأرسطو. ويمكن القول إن التربية المسيحية أرست قواعد في مفهوم التربية والعدالة تأثر إلى حد بعيد بالفلسفة اليونانية.

#### ويمكن تلخيص التربية المسيحية والعدالة في النقاط الآتية:

١. أكدت التربية المسيحية على أن العدالة فضيلة أخلاقية يتم الوصول إليها عن طريق التربية، فالعدالة معيار اجتماعي هو الأساس في توجيه معاملة الأفراد لبعضهم البعض. وهذا يلمس أيضاً في التربية اليونانية. فقد حدد أفلاطون مفهوم المواطن الصالح بأنه القادر على المشاركة في خدمة المجتمع ككل.
٢. تهتم التربية المسيحية بالفرد لأنه أساس المجتمع. وترى ضرورة إعداده وتربيته تربية عادلة ليتم بناء مجتمع عادل. وهذا أيضاً ما نراه في الفلسفة اليونانية وبخاصة عند أفلاطون.
٣. تبنى الإكويني مفهوم أرسطو في التربية، والذي يرى فيه ضرورة الاهتمام بتحفيز قدرات الطالب الكامنة من أجل التعلم. وبالتالي يمكن الوصول إلى الهدف النهائي وهو السعادة. لكن لن يتم ذلك إلا عن طريق الفضائل الخلقية والفكرية.
٤. اعتمدت التربية المسيحية الحوار كأساس للتوصل إلى المعرفة. وهذا ما تم التوصل إليه في أسلوب أفلاطون الذي اعتمد الحوار أساساً للوصول إلى الحقيقة. وهكذا يتبين مدى التشابه بين التربيين اليونانية والمسيحية. إذ إن الالتهنين تهتمان بسعادة الجنس البشري التي يتوصل إليها بتربية الفرد تربية عادلة.

#### التربية الإسلامية والعدالة

كان معظم العرب في الجاهلية قبائل رحل، يخضعون لنظام القبيلة فكان مجتمعهم مجتمع القبيلة والخيمة لا مجتمع الأمة والشعب، كان دستورهم "انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً" وقد



طبق هذا القانون بالمعنى الحرفي للكلمة. بينما استخدم نفس النص اسلامياً ليعني مساعدة المظلوم ليأخذ حقه وكف يد الظالم عن الظلم (أي التركيز على الانصاف في التعامل والبعد عن العشائرية الجاهلية غير المنصفة). ويذكر أن الإسلام جاء في بداية القرن السابع الميلادي، أي في الفترة التي كانت فيها أوروبا تغط في العصور الوسطى والابتعاد عن الأصول التربوية التي نادى بها التربية المسيحية. فأحدث الإسلام انقلاباً دينياً وسياسياً واجتماعياً غير مفاهيم الحياة، فالإسلام يربي الإنسان تربية ذاتية على الفضيلة ليكون مصدر خير لجماعته وفي نفس الوقت متحملاً للمسؤولية عن أعماله وتصرفاته. وبموجب التربية الإسلامية يعتبر الدين معاملة، ويوجه الإسلام الأفراد لما فيه خير كل واحد منهم وخير المجتمع في نفس الوقت. وهذا الخير للفرد والجماعة على السواء هو العدالة.

وبين مرسى (١٩٨٢: ٨٠ - ١٢٣) أنه لإقامة العدل في القضاء الإسلامي جوانب متعددة منها العدل في المعاملة "عامل الناس كما تحب أن يعاملوك" ومنها العدل في القضاء، فالمسلمون سواء أمام الإسلام لا فضل لغني على فقير ولا لقوي على ضعيف ولا لعربي على أعجمي الا بالتقوى. كما تناول الإسلام العدل الاجتماعي فالقوي عليه مساعدة الضعيف، والغني يساعد الفقير، بل وأكثر من ذلك يوجد في أموال الأغنياء، كما قال تعالى، "حق معلوم للسائل والمحروم" (سورة المعراج: ٢٤، ٢٥).

وأضاف مرسى (١٩٨٢: ١٢٠) أنه مما لا شك فيه أن الفلسفة الإسلامية تأثرت بالفلسفة اليونانية وبخاصة فلسفة أفلاطون وأرسطو لما تضمنته هذه الفلسفة من تركيز عقلي دقيق وإحساس فعال نحو الزهد والتقشف والعبادة وخاصة ما يتعلق منها بالنفس، فالنفس في التربية الإسلامية كشأنها عند أفلاطون جوهر روعي إلهي شريف. يذكر الكثيرون من الفلاسفة المسلمين في مصنفاتهم الفلسفية أفلاطون، منهم على سبيل المثال الفارابي (٨٧٨ - ٩٥٠م) وابن رشد (١١٢٦ - ١١٩٨م) اللذان حاولا التوفيق بين الشريعة الإسلامية والفلسفة اليونانية. وظهر هذا التأثير واضحاً في "علم الكلام" وكان مؤسسها أبا حسن الأشعري (المتوفى، ٩٣٥) ومن بعده ظهر الغزالي (١٠٥٨-١١١١).

فعلم الأخلاق، كما يراه الغزالي؛ علم معاملة: بمعنى انه يبحث في الأعمال وما ينبغي على المرء أن يفعله ليكون سلوكه موافقاً لروح الشريعة الإسلامية. ومن هنا كانت أمهات الفضائل عند الغزالي أربعا: الحكمة وهي حالة للنفس يمكن بها تمييز الصواب من الخطأ في جميع الأفعال الاختيارية، الشجاعة وتكون بانقياد شهوة الغضب للعقل في إقدامها وإحجامها، العدل وهي حالة للنفس أن تسوس الغضب والشهوة وتحملهما على مقتضى الحكمة، العفة وتكون بتأديب قوة الشهوة، وتأديب العقل. وهكذا نرى أن الغزالي اعتبر العدل من الفضائل الرئيسية الأربع وبخاصة طريق الحكمة. لم يكتف الغزالي بمناقشة أمهات الفضائل، بل تعرض إلى مفهوم التربية والغاية منها، وأساليب التعليم، فقدم لنا منهجاً عملياً في تربية الطفل تربية إسلامية صحيحة. كما أكد الغزالي على أن الطفل قابل لكل نقش وصورة. وعلى المعلم فهم طبيعة الصبي مع التنكير بأن الأطفال ليسوا متساوين في قدراتهم. وبين ضرورة التدرج في تعليم الصبي وأن على المعلم أن يبدأ معه من السهل لينتقل إلى الصعب. كما انتبه الغزالي إلى ضرورة الترويح واللعب وما تعود به من فائدة على الصبي، ووضع للمعلم عدة أمور عليه مراعاتها منها الرحمة على الصبي ومتابعته بالنصح والإرشاد وأن يكون قدوة حسنة وقوراً رزيناً ولا يفرق بين التلاميذ. وهكذا نرى الغزالي تربوياً مسلماً يقدم للتربية إسهاماً واضحاً في مفهومها وفي أساليب تدريسيها مما نرى الكثيرين من التربويين اليوم يسبرون على خطاه.

وبين مروة ( ١٩٨٥ : ٣٥٩-٦٤٩) إلى أن الأمر لم يقف عند هذا الحد، بل ظهر الكثير من الفرق الإسلامية التي تناولت مفهوم العدل، فأثرت في مفهوم التربية، ومثالا عليها: المعتزلة وإخوان الصفا. وبين أن ظاهرة إخوان الصفا ظاهرة عصر لا ظاهرة جماعة. وأغلب الظن أن هذه الجماعة ظهرت في القرن الرابع الهجري (العاشر ميلادي) أي فترة ظهور فلسفة الفارابي المتأثرة بالفلسفة اليونانية كما ذكر سابقا. قدمت هذه الجماعة للبشرية "رسائل إخوان الصفا" التي يمكن وصفها وصفاً معاصراً بأنها عمل موسوعي متكامل، رغم افتقاره إلى عنصر التدقيق العلمي، إلا أنهم ممثلون في الواقع لإحدى ظواهر عصرهم ومجتمعهم البارزة، وهي ظاهرة البحث الموسوعي بشموليته. وتوجي تلك الرسائل بظهور

مقومات للوحدة الجدلية بين علوم الطبيعة والفلسفة بصورة عملية. فهم ينطلقون في فلسفتهم الاجتماعية من نظرة ذات أبعاد طبقية، تكشف مدى انعكاس الصراع الطبقي بين الفئات وخاصة المستضعفة منها. ويلمس مدى تأثير إخوان الصفا بالفلسفة الأفلاطونية، فأخوان الصفا يؤكدون على الطابع الاجتماعي لنشاط الإنسان، وفي نفس الوقت يؤكدون على قيمة العمل في المجتمع كأساس لتقدمه وبنائه، ويضعون الحوافز المادية كأساس لإنجاز العمل والثقافة. وللحصول على "طيب العيش" يقولون إنه لا بد من إتقان صنائع شتى، ومن هنا يلمس في فلسفة إخوان الصفا زوال نظرة الاحتقار إلى العمل اليدوي وإلى الفئات الاجتماعية التي تمارس هذا العمل. فقد اعتمد إخوان الصفا على تنقيف الجماهير العريضة بالمعارف العلمية من أجل تأسيس "دولة الخير"، ولعل ظروف المجتمع والانفتاح على الحضارات السابقة ساعدت كثيراً في بلورة المفاهيم الاجتماعية والسياسية والتربوية لديهم. وذكر مرسي (١٩٨٢: ٨٠) أن المؤرخ عبد اللطيف الطيباوي عبر عن فلسفة إخوان الصفا التربوية. اتخذ إخوان الصفا نشر المعرفة بين الناس واسطة للوصول إلى هدفهم (بناء مدينة فاضلة روحانية) أي إنهم اعتمدوا على التربية والتعليم للوصول إلى إصلاح المجتمع والدولة. أي أن التربية هي أداة هدفها الوصول للمجتمع الفاضل تماماً كما هو الحال عند أفلاطون في اعتبار أن التربية أساس للوصول إلى تحقيق جمهوريته الفاضلة. وهكذا نرى أن مفهومي العدالة والتربية كانا على مرّ العصور السالفة مرتبطين معاً، وذلك لأن العدالة مبدأ أخلاقي وحقوقى يعبر في الأساس عن مطلب هو توفير ظروف اجتماعية وفرص متساوية ومتكافئة للعمل على تطوير شخصية الفرد من جميع جوانبها.

يلاحظ مما ورد أعلاه درجة تأثير هذا المفهوم في التربية بوضوح إذ إن التربية كانت في جميع الفترات السابقة موجهة لما فيه خير الفرد والمجتمع. فأفلاطون يضع مفهوماً للتربية بناء على مفهومه للعدالة وكذلك المسيحية وخاصة أنها جاءت بعد عالم يدين بالوثنية فكان لا بد من إرساء قواعد للعدالة ومفهوم للتربية وكلاهما يعالج القضايا الأخلاقية. واما في الإسلام فكانت التربية تسعى إلى تحقيق التوازن بين الحياة الدنيا والآخرة، وكان هذا ما يميزها عن غيرها، قال تعالى: "وابتغ فيما أتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا" (سورة

القصص: ٧٧). وهكذا نرى مدى توافق الرؤية الإسلامية للتربية من حيث التوازن بين الأخلاق والعمل على أساس واقعي عملي مبتعد عن المثالية التي وردت في فلسفة أفلاطون وفي التربية المسيحية في الأديرة. وبذلك سبقت التربية الإسلامية الكثيرين من المربين في مفهومها التربوي العملي والواقعي.

#### ويمكن تلخيص ما ورد عن التربية الإسلامية والعدالة بما يلي:

١. إن العملية التربوية الإسلامية تتعلق بالعلاقات الإنسانية الأساسية التي تتمثل بعلاقة الإنسان بأخيه الإنسان من جهة وعلاقة الإنسان بالخالق من جهة أخرى.
٢. التربية الإسلامية تنظر إلى الإنسان ككل؛ فهي تهتم بهذا الإنسان من جميع الأبعاد النفسية والاجتماعية والروحية، وظيفتها الاهتمام بهذا المخلوق كوحدة متناسقة ومتناغمة، وهدفها هو إعداد الإنسان الصالح.
٣. إن الغاية من التربية الإسلامية هو تكوين شخصية الفرد القوية المفكرة الصالحة بحيث يعمل لدنياه ولآخريته. وهذه الشخصية يكون أساسها العدل في المعاملة، والتعاون من أجل المحافظة على روابط اجتماعية متميزة. فلم يكن هدفها ماديا محضا ولا دينيا روحيا، بل على العكس من ذلك فإن هدفها ديني ودنيوي. كذلك فإن التربية الإسلامية تنهج المسار الروحي والمادي بشكل متكامل حيث لا تفصل الجانب الروحي عن المادي في أي من توجهاتها أو ممارساتها العملية واليومية؛ فهي تربية جامعة من أجل سعادة الفرد والمجموع، وهذا يلتقي مع الأمور الدينية والدنيوية.
٤. اهتمت التربية الإسلامية بالتعليم. ورد ذلك أكثر من مرة في القرآن الكريم وفي الأحاديث النبوية الشريفة. قال صلى الله عليه وسلم: "اطلب العلم ولو في الصين". وقال أيضا في تعليم البنات وحثه على ذلك "من كانت له ابنة فأدبها فأحسن تأديبها وعلمها فأحسن تعليمها كانت له ستر من النار". الأمر الذي دفع علماء التربية المسلمين للاهتمام بتربية المرأة كغيرها من أفراد المجتمع. وقام التربويون الإسلاميون بوضع أسس عملية لعملية التعلم. وهذا ما أكده هذا البحث فالغزالي يهتم بالطفل، ويؤكد على ضرورة

- الاهتمام بالفوارق الفردية، كما اهتم بضرورة التدرج من السهل إلى الصعب، وهذا ما تنادي به التربية الحديثة في هذه الأيام.
٥. التربية الإسلامية تدعو إلى الاستمرار في طلب العلم، "من المهد إلى اللحد" بمعنى أن الإنسان يُعلّم ويتعلم في نفس الوقت. وهذا الجانب يعمل على تطوير العقل ونموه. فالإسلام حث على حرية التفكير العقلي وعلى استخدام البرهان للتوصل إلى الحقيقة.
٦. تؤمن التربية الإسلامية بالتجديد طالما لا يتعارض مع المبادئ الإسلامية. والدليل على ذلك تأثرها بالفلسفة اليونانية، وما ترجم من كتب فلسفية واجتماعية مختلفة في هذا المجال.
٧. اهتمت التربية الإسلامية بالتربية المهنية، فنرى إخوان الصفا يضعون الحوافز كأساس لإنجاز العمل. ويؤكدون على قيمة العمل في المجتمع كأساس لتقدمه وبنائه.
٨. تعتمد التربية الإسلامية على المساواة وتكافؤ الفرص في التعليم. فأفراد المجتمع الإسلامي متساوون في حقهم في التعليم. ولكن الإسلام يضع ضوابط أخلاقية لعملية التعلم، على المسلم مراعاتها؛ لأن المعرفة سلاح ذو حدين.

#### التربية والعدالة في العصر الحديث

يعتقد الاشتراكيون بأن البرجوازية مزقت النظام الإقطاعي وبأنها أقامت على أنقاضه التكوين البرجوازي للمجتمع. ويلاحظ أن المجتمع الرأسمالي انقسم إلى طبقتين: البرجوازية والبروليتاريا. واحتدم الصراع بين هاتين الطبقتين. فظهرت الفوارق الطبقيّة. وأصبح مطلب العاملين يتمحور ضد جني الأرباح غير المحدود وضد الشعور بعدم الأمان. فمنذ أن طرح المفهوم البرجوازي إلغاء امتيازات طبقة الإقطاع، ظهر إلى جانبه مطلب آخر بإلغاء الطبقات نفسها. وهذا مهد الطريق لظهور الاشتراكية. ويذكر أوليدولف ( ١٩٧٨ : ٤٦ ) أن التعبير عن العدالة في المجتمع الاشتراكي يكمن في ضمان المستقبل والأمن الاجتماعي، واحترام الكرامة الإنسانية لجميع أفراد المجتمع.

ومهما يكن من أمر فإن موضوع العدالة يبقى هو الأساس لتحقيق ذلك التساوي ولشعور الفرد بكرامته وقدراته الشخصية. ومن هنا كان لمفهوم العدالة أثر على مفهوم التربية وعلى من سيطبق هذا المفهوم. فالفرد هو دعامة المجتمع، ولا يتطور المجتمع الا بتطور أفراده، ولكي يتم ذلك لا بد من التربية التي تعمل على تهذيب النفس البشرية والارتقاء بها للوصول إلى درجة افضل مما هي عليه. وبعد استعراض كل من المفهومين الرأسمالي والاشتراكي في العصر الحديث سيتم تناول مفهوم التربية الحديثة كما وردت فيما قدمه ديوي (١٨٥٩ - ١٩٥٢) كمثال على التربية الحديثة.

بين آل ياسين (١٩٧٨: ٩ - ١١) في ترجمته لكتاب جون ديوي "المدرسة والديمقراطية" الصادر سنة ١٩١٦ أن جون ديوي استطاع أن يظهر إفلاس التربية القديمة وعدم ملاءمتها للجيل الجديد نظرا للمشاكل الجديدة التي لم يصادفها الأقدمون. كان مفهوم التربية قديما يقوم على أن الطفل وجد لتلبية الحاجة للمدرسة، فاستحال إلى أن "المدرسة وجدت لتلبية حاجات الطفل"، إن النظرة الحديثة للتربية ترى أنها ليست مقصورة على المدرسة فحسب بل هي في المنزل، والملعب، وفي ميدان العمل في البيئة المحيطة، وأنها ليست مقتصرة على سن معين بل تبدأ قبل الولادة وتستمر إلى الشيخوخة. إلى ذلك يعرف جون ديوي المدرسة بأنها (الحياة) أو أنها (النمو) أو أنها التوجيه الاجتماعي.

#### ويمكن تلخيص ما قدمه "ديوي" بما يلي

١. ربط المدرسة بالمجتمع، وان كانت هذه الفكرة قد ظهرت أصلا في فلسفة أفلاطون فإن لديوي الفضل في إبرازها والتأكيد عليها، حيث وضّح أن المدرسة مجتمع مصغر يجب أن يكون خاليا من الشوائب التي نراها في المجتمع الكبير، إذ على المدرسة النظر في الثقافة بمعناها الواسع والعمل على إعادة بنائها بما يتلاءم واحتياجات المجتمع، فالمدرسة تعنى بنقل التراث بعد تخليصه من الشوائب، وتضيف إليه ما ينبغي إضافته حتى يحافظ المجتمع خارج المدرسة على نمائه وحياته أي تجدده وتغييره من خلال الطلبة بعد تخرجهم من المدارس.

٢. عملية التربية ليست مقتصرة على الإعداد للمستقبل بل إنها عملية حياة. هذا ما يراه ديوي ولعل الدافع الأول فيما ذهب إليه ديوي هو نظرتة الإنسانية للمتعلم نظرة منفتحة تركز على النسبية. وركز على الحاضر الذي يعيشه الفرد والتعامل معه بشكل يمكنه تراكميا أن يحقق المستقبل المنشود. واعتبار ذلك محققا لأهداف التربية الحاضرة والمستقبلية معاً. فإذا كانت أهداف التربية تسعى لخير البشرية وتعمل من أجل رفاهية الفرد، كان لا بد من تحقيق العدالة بين أفراد المجتمع ليصل إلى الهدف الأسمى وهو سعادة الفرد وبالتالي سعادة المجتمع.
٣. كذلك اهتم ديوي بالعمل كأساس للعملية التربوية، ويؤكد على التعلم من خلال العمل، وينادي بالاهتمام بالأعمال اليدوية والمهنية وعدم إهمالها، كما نراه يدعو إلى مبدأ الفعالية للحصول على الخبرة والتعلم. وهذا ليس بغريب على فيلسوف برامجاتي كجون ديوي، فما دامت التجربة هي التي ستظهر صدق آرائنا أو خطأها فالتربية العملية بمختلف أشكالها هي التي ينبغي أن تكون لها الأسبقية في المنهج.
٤. ربط جون ديوي بين التربية والديمقراطية ربطاً قوياً - ولعل هذا ما يهمننا - إذ إن الديمقراطية عند ديوي هي أسلوب في الحياة وليست مجرد تطبيق سياسي لمفهوم قديم يرجع عهده إلى اليونان، وقد قال ديوي في هذا الصدد: " ليست الديمقراطية مجرد شكل للحكومة، وإنما هي في أساسها أسلوب من الحياة المجتمعية والخبرة المشتركة المتبادلة (ديوي، ١٩١٦: ٩٠) وأضاف أن الديمقراطية تعني المساواة بين الأفراد في تهيئة فرص متكافئة للجميع دون أي تمييز، وهي أيضاً تكافل اجتماعي، وهي عدالة اجتماعية وحرية في الاعتقاد والقول والنشر وهي علاقات إنسانية تتسم بالأخذ والعطاء فالمدرسة الديمقراطية هي التي يعيش فيها المتعلمون والمعلمون وجميع العاملين زملاء متعاونين من أجل تحقيق هدف مشترك ورؤية مشتركة. وكل هذا يخدم الأغلبية الساحقة إن لم يكن يخدم جميع أعضاء المدرسة. وقد انتشرت آراء ديوي في الولايات المتحدة وخارجها، وبدأت تظهر الجمعيات التربوية لتبني آرائه. وانتشرت شهرته، ودعي إلى دول عدة للاطلاع على نظمها التربوية وتطويرها ولكن ما كادت الحرب العالمية الثانية

تبدأ، حتى ظهرت حملة نقد لآراء ديوي التربوية. وحتى أثناء ازدهار فكر ديوي ظهرت معارضة لآرائه. وفي هذا الصدد نرى أن الكنيسة الكاثوليكية لم تقبل آراء ديوي كاملة في التربية، بل كانت تسير على هدى الفلسفة المثالية، ومن الذين عارضوا آراء ديوي في التربية (رئيس جامعة شيكاغو سابقاً) فكان يرى أن عملية التربية هي عملية نقل التراث من الجيل القديم إلى الجيل الجديد، وتدريب أبناء الجيل الجديد على التفكير عن طريق الدراسات الأساسية التي ثبتت فائدتها؛ كالفلسفة والمنطق والرياضيات والدراسات الإنسانية، وما زال الصراع قائماً بين الدعوة إلى التركيز على الخبرة المباشرة وخبرة الجنس البشري منذ القديم إلى يومنا هذا. ورغم ذلك بقيت آراء ديوي نبراساً لمن يرغب في رؤية تربوية تعمل على بناء شخصية الفرد وتكامله دون تمييز.

وذكر ناصر (١٩٩٦: ١٥٧ - ١٦٤) أن جون ديوي قد لعب دوراً كبيراً في الحياة الفكرية والسياسية الأمريكية، كما أنه من الجهة الأخرى كان عاملاً فعالاً في تطوير المفاهيم الفكرية والسياسية التي نقلها الشعب الأمريكي من العالم القديم، لكنه هذبها وطورها بما يتلاءم مع احتياجات العالم الجديد، وفي مقدمتها الديمقراطية والحرية والتربية والتفكير والأخلاق. ويقرن اسم ديوي عادة بالمذهب العملي أو البراجماتي، وهو المذهب الذي ينظر إلى الأشياء والحوادث كما هي في عالم متغير باستمرار، وإلى الحقيقة والخير والجمال كما تنعكس أو تظهر من خلال التطبيق أو العمل.

ويمكن القول إن آراء "ديوي" ساهمت في خلق رسالة تربوية تهدف إلى الاهتمام بالفرد من أجل بناء مجتمع عادل، يهتم بتكافؤ الفرص أمام التلاميذ دون تمييز. وبعد هذا العرض يمكن تناول مفهوم التربية في المجتمع الاشتراكي بتقديم مثال على التربية الاشتراكية كما ظهرت في آراء الكاتب والفيلسوف والمربي "تولستوي (١٨٢٨-١٩١٠).

تظهر آراء تولستوي التربوية كما بينها الديلمي (١٩٨٩: ٢٩٠-٣١٨) في ترجمته لكتابات تربوية التي نشرها تولستوي (١٨٦٢)، أنه يرى أن التعليم يجب أن يكون متاحاً لعامة الشعب بالتساوي، لأن نشر المعرفة العلمية بين الناس هو الوسيلة الكفيلة لإزالة الاستبداد والعنف؛ لتسود بعد ذلك العدالة بين جميع فئات الشعب وخاصة تلك المغلوبة على



أمرها، والتي لا يمكن تحررها إلا إذا تعلمت، وإن كان هناك من سبقه في هذا المجال مثل العالم الروسي لومونوسوف وغيره ممن كانوا يربطون مستقبل البلد بما يحققه حقل التعليم من نجاح.

وأضاف الدلمي أن تولوستوي كان يؤمن بأن الطريقة لتعليم التلاميذ هي الحوار، وأنه قد طبق ذلك عندما فتح مدرسة لأبناء الفلاحين ودرّس فيها. وكان المبدأ الأساسي في هذه المدرسة هو اعتماد التلاميذ على أنفسهم، وعلى إنماء قدراتهم الإبداعية. كانت المدرسة المثلى لدى تولوستوي هي المدرسة التي لا تعزل نفسها عن الحياة، بل على العكس هي التي ترى في الحياة ضماناً لنشاطها المثمر.

كان تولوستوي يدعو إلى اعتبار الأطفال مخلوقات عاقلة ومفكرة، قادرة على فهم ضرورة النظام. إن الفكرة الرئيسة في مفهوم تولوستوي التربوي تكمن في حرية المدرسة وحرية التعليم لخلق جيل يتمتع بشخصية منفتحة قادرة على الإحساس بالعدالة والديمقراطية في مجتمعها.

بعد هذا العرض لمفهوم التربية في العصر الحديث متمثلة في آراء "ديوي وتولوستوي" يمكن القول إن مفهوم التربية عندهما مرتبط بتربية الفرد، فكلاهما يؤمن بضرورة توفير التعلم لأبناء الشعب بالتساوي. كما ركز كل منهما على تعليم الطفل لأنه الركيزة الأساسية في المجتمع، فإذا تم بناؤه بناء سليماً سمنصل إلى مجتمع صالح قادر على مواجهة تحديات الحياة يتميز بالإحساس بالعدالة. وقد تبين من خلال العرض أعلاه أن الفرد هو المحور الرئيس في العملية التربوية. مع ملاحظة أن التركيز على الفرد قد يكون على اعتباره أداة تطوير المجتمع أو أن التركيز عليه يكمن في حقه لتحقيق ذاته.

ولمزيد من التعرف على التربية والعدالة في العصر الحديث لا بد من تناول مفهوم التربية في نهاية القرن العشرين وذلك استكمالاً للتعرف على موقف التربية من الفرد المتعلم عبر العصور. عرف هاري شوفيلد (Shofield, 1972) التربية في كتابه "فلسفة التربية" من خلال ثلاثة معايير: أولهما أن التربية عملية توصيل كل ما يمكن اعتباره ذا قيمة إلى متعلمين يصبحون ملزمين به، وثانيهما أن تعتمد التربية على الفهم ويوجد بها جانب وجداني، وثالثها

إن عنصر الدراية من جانب المتعلم عنصر مهم في التربية كعنصر الإرادة. وبناء على هذه المعايير فإن التربية عملية ذات مضمون ومنهج، أما المضمون فهو المعرفة وكل ما هو ذو قيمة، والمنهج هو العملية التي يتم من خلالها توصيل المفهوم والقيم والتي يجب من خلالها إعطاء الفرصة للمتعلم ليفهم ما يتعلم. فإذا كانت التربية وعلى مرّ العصور تهتم بتنشئة الفرد وتكوينه اجتماعياً، وأنها عملية مستمرة لا تتقطع أبداً، فإنها أيضاً تحتاج إلى رعاية واهتمام بالأخلاق والغايات، وفي نفس الوقت تحتاج لمنهج ونشاطات تصلح لإحداث تغييرات حسب الحاجة. لذا كان لا بد من تطوير مجتمع ونظام ديمقراطيين، ولن يتم ذلك إلا بإحقاق العدالة. من هنا كان هناك علاقة واضحة بين العدالة والتربية، فالعدالة هي الطريق إلى إعطاء الفرد الفرصة لتحقيق ذاته وبالتالي يكون متميزاً. ويلاحظ حديثاً أن العدالة على رأس السلم في الإصلاح التعليمي، كما تبين أدبيات التربية في مجال ثقافة المدرسة والعدالة (Starratt, 202 - 185: 1991) و (Boland, 1999: 2-3). بينما عرف سميث وتريفر (Smith & 92 - 79: 1983: Traver) العدالة والتميز حسب المفاهيم الديمقراطية الليبرالية، فالعدالة تعني الرغبة في العدل والتساوي وفي المفهوم الليبرالي الديمقراطي تكون الديمقراطية واضحة عندما تكون الفائدة العائدة على الفرد الواحد متساوية مع الفائدة العائدة لأي من أفراد المجتمع.

كما عرف زيمرنان (Zimmerman, 1997: 7- 20) التميز بأنه الرغبة في رفع مستوى الكمال الإنساني إلى أعلى درجة ممكنة، والطريقة الوحيدة لتطوير أناس متميزين أو مجتمع متميز تكمن فقط في رفع درجة التوقعات والتميز من خلال الاعتماد على الجهود الفردية إلى أعلى درجة ممكنة.

أما إيفانز وكنج (Evens & King, 1994: 206- 264) فيعرفان العدالة من الناحية التربوية بأنها تلبية احتياجات كل المتعلمين من الموهوبين إلى ذوي الاحتياجات الخاصة، فالتعليم المميز هو التعليم الذي يلبي احتياجات كل المتعلمين وهذا هو نفسه التعليم الديمقراطي. وعرف الحشوة (1999: 26- 27) التربية الديمقراطية بأنها برنامج مدرسي يصمم بالتعاون مع مؤسسات مجتمعية خارج المدرسة، بهدف تيسير ممارسة الطلبة للسلوك

الديمقراطي في حياتهم، وتيسير مساهمتهم في ترسيخ الديمقراطية في المجتمع، وهذا يتم بشكل مباشر ومنظم، من خلال التأثير على القيم، والمعرفة، والمهارات الذهنية المرتبطة مباشرة بهذا السلوك.

وفي دراسة أجراها كوك وميجتريدت (Cook & Megtredt, 1983: 217-241) حول الشعور بالعدالة أو عدمه في العمل، وجدا أن للشعور بعدم العدالة أثرا سلبيا على الرضا الوظيفي والأداء أيضا؛ إذ إن العاملين يتوقعون نسبة متساوية بين المدخلات (أي المتغيرات التي تؤثر على العمل مثل الإخلاص، والخبرة، والجهد...) والمخرجات (مثل المراتب، والترقية، والمركز)، إذ إن هذا التناسب بين المدخلات والمخرجات هو المعيار للحكم على عدالة ونزاهة المعاملة، فالعدالة والنزاهة وجهان لعملة واحدة ولا فرق بينهما ولا بديل لأحدهما على الآخر. وأن العدالة تعني أن كل فرد عامل يقارن مدخلاته ومخرجاته مع مدخلات ومخرجات الآخرين.

وللإجابة على السؤال الخاص بأهمية التوازن والتناسب بين المدخلات والمخرجات تمت مراجعة دراسة ستييرز وبورتر (Steers & Porter, 1983: 293) فوجد أن الباحثين توصلوا إلى أنه عندما يختل التوازن بين المخرجات والمدخلات. وأن المعلم في هذه الحالة يسعى إلى تعديل سلوكه بطريقة أو بأخرى لمواجهة الظلم وعدم العدالة؛ ومن هذه السلوكيات التي يستخدمها المعلم (١) تقليص المدخلات أي قد يتخلى الموظف عن الدقة في عمله أو يأخذ جميع أيام الإجازات مثلاً. (٢) تنوع المخرجات فقد يعمل المعلم على إنشاء نقابة للعاملين من أجل ضمان حقوق العمل. (٣) التصرف بعقلانية فيعدل عندها المعلم من نظرتة إلى عدم العدالة وذلك بتخفيض التوتر الشخصي وهذا يعني إما تبريرا للعدالة أو تقبلها كما هي. (٤) تغيير الآخر أي تغيير المعلم الذي يقارنه بنفسه، فيختار فرداً آخر ليكون متعادلاً معه. (٥) إنهاء الوضع وعندها يترك الموظف المؤسسة أو يطلب نقلاً لمكان آخر.

وقال ويلر (Weller, 1995: 44- 50) إن هدف التربية هو الفرد؛ من أجل نماء شخصيته لتكون متكاملة قادرة على اتخاذ القرار ومواجهة التحديات، فالتربية هي الموجه الأساسي للشخصية الإنسانية، لأنها تتعلق بالفرد، وعلاقاته مع الآخرين، وبالتالي يتشكل

المجتمع ككل متكامل. لذا تبقى التربية متغيرة على مرّ العصور، بما يناسب كل عصر واحتياجاته وتطوره. ولذلك لا يمكن أن تكون جامدة ثابتة بل متغيرة متطورة لأنها أولاً وقبل كل شيء، تعمل على نماء الفرد، وبالتالي سعادته وسعادة المجتمع.

### نتائج الدراسة

من المفضل في الدراسات النظرية أن لا تكتب الاستنتاجات التي يوصل لها الباحث تحت مسمى النتائج كما هو معروف في الدراسات الامبريقية التجريبية. لكن وضع العنوان تجاوزاً للتعامل مع ما توصل إليه الدراسة الحالية في محاولة للإجابة على أسئلة الدراسة. من هذا المنطلق ولأسباب توضيحية دراسية محضة يمكن القول بأن "نتائج" الدراسة الحالية تظهر في إجابتها على أسئلة الدراسة كما يلي:

### السؤال الأول:

ما هو مفهوم العدالة في التربية عبر العصور وفي التوجهات التربوية المختلفة؟

النتيجة الأولى: تظهر التلخيصات في نهاية كل توجه تربوي بحثته الدراسة الحالية أن مفهوم العدالة متعدد في واحد وهو إنصاف الفرد والمجتمع في التعامل بناءً على أخلاقيات تضمن الإنصاف في إتخاذ القرارات لما فيه خير الفرد والمجتمع، وأن الخير للفرد وللمجتمع لا يتناقضان لأن النتيجة المرجوة تظهر في إمكانية الشعور بالسعادة وعدم الظلم و بما يحفظ كرامة الانسان. والنتائج الفرعية للنتيجة الأولى تبين أن:

#### ١. مفهوم العدالة حسب الإتجاهات الدينية

الاسلامية والمسيحية بينت أن العدالة في جوهرها تعامل يرضي الله.

أ. فالمسيحية ترى أن العدالة معيار اجتماعي يوجه بوجه معاملة الناس لبعضهم البعض وأن احترام الحقوق والوفاء في الواجبات هما عنصرا الفضيلة.

ب. ويرى الإسلام العدالة في التعامل "عامل الناس كما تحب أن يعاملوك" ويظهر أهمية العدل الاجتماعي في أكثر من موقع حيث أن المسلمين سواسية أمام الاسلام، لا فضل

لغني على فقير ولا لقوي على ضعيف ولا لعربي على عجمي إلا في التقوى، التي في جوهرها تركز على العدالة والإنصاف بما يرضي الله. وأن التربية العادلة هي التي تربي الناشئة على الفضائل والتي بينها الغزالي اعتماداً على القرآن والسنة: العدالة فضيلة الحكمة التي توجه الانسان للاختيار بالتمييز بين الخير والشر، وفضيلة الشجاعة والتي تكون بانقياد شهوة الغضب للعقل، وفضيلة العفة وتكون بتأديب قوة الشهوة، وتأديب العقل، وفضيلة العدالة وهي حالة النفس أن تتسوس الغضب والشهوة وتحملهما على مقتضى الحكمة. وأن الغاية من التربية الإسلامية هي تكوين شخصية الفرد القوية المفكرة، العاقلة، الصالحة بحيث يعمل لدنياه وآخرته باتزان يحقق له الشعور بالكرامة والسعادة. وأن هذه الشخصية يكون أساسها العدل في المعاملة، والتعاون من أجل المحافظة على روابط اجتماعية تسعد الفرد والمجتمع.

## ٢. مفهوم العدالة حسب الاتجاهات الوضعية

تري الاتجاهات الوضعية أن العدالة في جوهرها تصدر عن تفكير يسيره البحث عن الفضيلة في التعامل لما فيه خير الإنسان الفرد والإنسان كعضو في المجتمع.

أ. بين أفلاطون أن العدالة تحقيق لذات الفرد بأبعادها العقلية والعاطفية والشهوانية بشكل متوازن كما في المجتمع الذي يحقق العدالة في إعطاء الحكم للفلاسفة (الذين يمثلون عقل المجتمع)، والصناعة والمهن لطبقة فضيلتها العفة والنتاج المرتبطة بالشهوة، والدفاع عن الوطن للجنود الذين يتمتعون بالشجاعة فضيلة القوة الغضبية. أي أن العدالة تتحقق إذا حكمت طبقة الفلاسفة وأطاعها الجند وتعاون معها العمال. فالعدالة عند أفلاطون هي البحث عن الحقيقة. وأن التربية العادلة هي التي تبحث في حقيقة الفرد لتعده لتحقيق ما هو حقيقي في استعداداته ليصبح مؤهلاً ليحل في المجتمع في الطبقة التي تناسب فضيلته.

ب. مفهوم العدالة من وجهة نظر جون ديوي: بينت الدراسة الحالية أن العدالة في التربية كما يراها جون ديوي تتشكل من قيم ديمقراطية وتتحقق من خلال ربط المدرسة بالمجتمع. إذ تعمل المدرسة لتحقيق أهداف التربية في السعي لخير البشرية والعمل من

أجل رفاهية الفرد ويكون ذلك بتحقيق العدالة بين أفراد المجتمع ليصل إلى الهدف الأسمى وهو سعادة الفرد وبالتالي سعادة المجتمع. وأن العمل هو أساس العملية التربوية، إذ أكد على التعلم من خلال العمل، ونادى بالاهتمام بالأعمال اليدوية والمهنية وعدم إهمالها. ويقوم العمل على أسس تربط بين التربية والديمقراطية ربطاً قوياً، وبين أن الديمقراطية في أساسها أسلوب من الحياة المجتمعية والخبرة المشتركة المتبادلة وأنها تعني المساواة بين الأفراد في تهيئة فرص متكافئة للجميع دون أي تمييز، وهي أيضاً تكافل اجتماعي، وهذا كله يعني عدالة اجتماعية وحرية في الاعتقاد والقول والنشر وهي علاقات إنسانية. أي أن العدالة هي عمل يقوم على ممارسة الديمقراطية بكل فضائلها التي تحقق سعادة الفرد والمجتمع. وهذا موقف يكاد يكون مطابقاً لمفهوم العدالة في التربية المسيحية وفي فلسفة أفلاطون.

ج. يرى تولوستوي أن التعليم يجب أن يكون متاحاً لعامة الشعب بالتساوي، لأن نشر المعرفة العلمية بين الناس هو الوسيلة الكفيلة لإزالة الاستبداد والعنف؛ لتسود بعد ذلك العدالة بين جميع فئات الشعب وخاصة تلك المغلوبة على أمرها، والتي لا يمكن تحريرها إلا إذا تعلمت. وأن المدرسة هي المكان الذي يتم فيه التعليم لتحقيق إكساب المتعلمين قيمة العدالة والمدرسة التي تحقق ذلك هي التي لا تعزل نفسها عن الحياة، بل على العكس هي التي ترى في الحياة ضماناً لنشاطها المثمر. وكان تولوستوي يدعو إلى اعتبار الأطفال مخلوقات عاقلة ومفكرة، قادرة على فهم ضرورة النظام. إن الفكرة الرئيسية في مفهوم تولوستوي التربوي تكمن في حرية المدرسة وحرية التعليم لخلق جيل يتمتع بشخصية منفتحة قادرة على الإحساس بالعدالة والديمقراطية في مجتمعها

#### السؤال الثاني من أسئلة الدراسة الحالية

ما هي قيمة العدالة في التربية للفرد والمجتمع؟

النتيجة الثانية: يتبن من مفهوم العدالة أعلاه سواء الديني أو الوضعي منه أن العدالة لها قيمة للفرد والمجتمع. وأن هذه القيمة تكمن في نشر الخير والسعادة للفرد والمجتمع على السواء.

### ٣. هل يوجد أرضية مشتركة بين الاتجاهات الدينية والوضعية بالنسبة لمفهوم العدالة في التربية وأثره على الفرد والمجتمع؟

النتيجة رقم ثلاثة: بينت الدراسة الحالية أن هناك أرضية مشتركة بين الإتجاهات الدينية والوضعية بالنسبة لمفهوم العدالة في التربية حيث أن الفرد الإنسان هو وسيلة العدالة وغايتها، فلا عدالة دون تربية عادلة تتضمن التعليم للجميع وتعمل ضمن تقوى الله كما ترى التربية الإسلامية، والتقرب إلى الرب بالمحبة والتسامح ضمن التربية المسيحية، وإعطاء الفرص المتساوية وحرية التعبير في الممارسة للتربية الديمقراطية حسب مفهوم التربية الوضعية عند جون ديوي، والعمل على بناء الفرد والمجتمع من خلال المدرسة الحرة القادرة على تنشئة الأفراد المغلوب على أمرهم للتعبير بحرية كما يرى تولستوي في التربية الإشتراكية التي تهدف للتوازن بين الفرد والمجتمع بعيداً عن استغلال الإنسان لأخيه الإنسان. فالعبرة المستقاة من النتائج التي توصلت لها الدراسة أن كرامة الإنسان في تربيته تربية عادلة ليعد للمشاركة في بناء مجتمع عادل.

### الخلاصة

يستنتج من البحث بخصوص مفهوم العدالة والتربية في حقبة تاريخية مختلفة، بدءاً من الحقبة اليونانية وانتهاء في العصر الحديث، إن الفرد وسعادته هو محور الجدل القائم منذ العصور الماضية إلى الآن، وإن قضية الفرد وسعادته وكيفية الوصول إليها من أجل ضمان مجتمع متكامل، هي في الواقع قضية جدلية يستمر النقاش فيها وتختلف السبل وإن كان الهدف واحداً.

يمكن القول إن أفلاطون هو المحور الذي يتكرر عبر التاريخ، في أدبيات التربية، بصور مختلفة فتتأثر به الحضارات، فمنها ما تتقمص رؤيته الفلسفية وتتبناها ومنها ما تتناول الموضوع من وجهة نظر مختلفة، وبخاصة تلك التي أصبح الدين محورها. ويمكن تلخيص أهم نتج عن هذه الدراسة من مفاهيم حول التربية والعدالة في الفترات التاريخية المختلفة بما يلي:

١. بدءا من أفلاطون وانتهاء بالقرن العشرين ظل الفرد هو محور العملية التربوية. لأن سعادة الفرد هدف تسعى إليه المجتمعات على مر العصور. ذلك أن ضمان سعادة الفرد هو ضمان لمجتمع متكامل لديه إحساس بالعدالة.
٢. التربية عملية مستمرة، وهذا ما اتفقت عليه النماذج التربوية عبر التاريخ الدينية منها والوضعية. فالفلسفة اليونانية، والمسيحية، والإسلامية، والتربية في العصر الحديث، تجمع على أن التربية عملية مستمرة لا تتوقف إلا بتوقف الحياة.
٣. لن تتحقق العدالة في مجتمع من المجتمعات إلا بالتربية. وهذا يعني نشر المعرفة والتعليم للجميع ليس فقط كحق من حقوق الإنسان، بل لأن التربية والتعليم هي أداة التنمية وطريق الوصول إلى إصلاح المجتمع أن هي انتهجت العدالة في التربية كقيمة محورية في أهدافها وطرق تنفيذها كافة.
٤. توخي المساواة في التعليم، فالتعليم حق لجميع أبناء الشعب ولا يقتصر على فئة معينة.
٥. تنوعت أساليب التدريس على مر العصور ما بين الحوار والتلقين تماما كما هو الحال في عصرنا هذا. فإذا كان أفلاطون قد اعتمد الحوار أسلوبا في التربية والتدريس ولم ير ضرورة للكتاب المقرر؛ فإن المسيحية ركزت على الكتاب المقدس. ولعل ذلك يرجع إلى طابع التربية في تلك الفترة. إذ كانت التربية المسيحية تربية دينية. ثم جاء الإسلام ليعتمد القرآن والسنة كمصدر للمعرفة مع التأكيد على الحوار، وضرورة استعمال العقل من أجل الوصول إلى الحقيقة كما بين الغزالي وابن رشد.



٦. ضرورة الجمع بين الجانب النظري والجانب التطبيقي بمعنى أن العدالة في التربية قيم توجه سلوك الفرد والمجتمع. والعلاقة بين النظري والتطبيق علاقة جدلية تتجسد في كل موقف. إذا كانت النظرية ترشد للخير فان التطبيق يعمل على تحقيقه.
٧. ضرورة الاهتمام بتحفيز قدرات الطالب الكامنة من أجل التعلم. وفي نفس الوقت مراعاة الفوارق الفردية. فكل طالب قدراته وإمكاناته وعلى المعلم اكتشاف تلك القدرات والإمكانات ؛ لأن هذا بدوره يؤكد على مفهوم العدالة والتميز بين الطلاب.
٨. كان هناك إجماع على ضرورة الترويج عن النفس، وذلك بالاهتمام بالرياضة الجسدية والتي بدورها تؤدي إلى راحة العقل، فيصبح الإنسان قادرا على القيام بمهامه براحة ودون عناء.
٩. إن مفهوم التربية ليس بمعزل عن مفهوم العدالة، بل كل منهما يفسر الآخر، فالرؤية التربوية في العصر الحديث تتمثل في الفيلسوف الأميركي "جون ديوي" الذي كان يرى أن التربية عملية مستمرة لا تنتهي لأنها عملية حياة، هذا بالإضافة إلى أنه ربط بين الديمقراطية والتربية ربطا قويا، لأنه يرى الديمقراطية أسلوب حياة مما يؤدي إلى تحقيق العدالة المنشودة لهذا المجتمع.
١٠. الاهتمام بالطفل فلقد أجمع علماء التربية على مر العصور على الاهتمام بالطفل، وإن كان هناك اختلاف في درجة ذلك الاهتمام. ولعل أهم ما في الأمر هو: أن الطفل هو أساس المستقبل. فإذا نمت شخصيته وسط ظروف عادلة وتمكن من الإحساس بها كان قادرا على اعتبارها نهج حياة، وبالتالي يكون هناك نماء لمجتمع عادل في المستقبل.

### الاستنتاجات

١. العدالة في التربية تتطلب معتقدات تربوية تشتمل على ما يلي:
١. العدالة قيمة أساسية تحتل موقع القيادة في النظام القيمي للفرد والمجتمع الذي يتطلع للعيش بكرامة سواء أكان هذا الفرد منتما إلى مجتمع يؤمن بالديانات السماوية (مثال

- المسيحية والإسلامية)، أو كان يحمل فلسفة مثالية (أفلاطونية على سبيل المثال) أو برجماتية واقعية (مثل فلسفة جون ديوي).
٢. العدالة بمفهومها وإجراءاتها أمر نسبي لا يمكن تحقيقها بالمطلق. (أ) فهي كمفهوم تعبر عن تحقيق فرص متساوية للأفراد في تحقيق ذاتهم بما يتوفر في تلك الذات من عناصر خيرة وقدرات تحتل الموقع القيادي لمكونات فضائل الإنسان. (مفهوم أفلاطون للفضائل الثلاث، مفهوم التربية المسيحية للنشاط الذاتي والمبادرة في تحقيق الذات، مفهوم الإسلام في توجيه الإنسان لما فيه خير الفرد والجماعة). (ب) أما كإجراءات فالعدالة تتحقق ضمن توفر أنظمة وقوانين مكتوبة أو غير مكتوبة يساهم المجتمع سواء داخل أو خارج المدرسة في صياغتها. ويحتكم إليها في المساءلة تبعاً للالتزام الناشئ عن تلك المساهمة.
٣. المعتقد بأن العدالة هي سبب ونتيجة في تشكيل ثقافة قادرة على إسعاد الفرد ومساعدته في مواجهة الاختلافات مع الآخرين، أو التعامل مع المشكلات الجدلية بغرض استثمار التربية لصالح التنمية المستدامة.
٤. المعتقد بأن قيمة العدالة تتوفر في نظام قيمى يشمل التعاون، والتسامح، والمشاركة، بالإضافة إلى الحوار القائم على الاحترام المتبادل أثناء حل النزاعات أو الخلافات، وفي مناقشة القضايا الجدلية.
٥. المعتقد بأن ممارسة العدالة تتجلى في أحسن صورها في ممارسة البحث عن الحقيقة، وممارسة المعرفة بشقيها النظري والتطبيقي.
٦. المعتقد بأن الإنسان مفطور على التعلم والمعرفة، وأنه قادر على التعامل مع المعرفة وإنتاجها بقدر ما يكتسب من مهارات وخبرات، ومفاهيم في مناخ تعليمي يحترم حقه في التعبير عن ذاته بحرية مسؤولية (يعرف حقوقه وواجباته). ومهما يكن من أمر فإن من الواضح أن جميع الفلسفات تؤمن بضرورة الاهتمام بالفرد لأنه اللبنة الأساسية في المجتمع، وهذا ما لمسناه من خلال التعريفات الحديثة للتربية حيث تلقت جميعها على ضرورة الاهتمام بالفرد فعليه يقع إنشاء مجتمع فاضل يتحلى بالعدالة ليتمكن من بناء

تربية تعمد إلى الاهتمام ببناء شخصية الطالب المتعلم المميّزة القادرة على الإحساس بالعدالة في مجتمعها.

### التوصيات

اعتمادا على النتائج المفاهيمية والاستنتاجات التي خرجت بها هذه الدراسة توصي الباحثان بما يلي:

١. يمكن تحقيق مفهوم العدالة النسبي كما ورد في جمهورية أفلاطون وذلك عن طريق إيجاد أبنية مدرسية كافية لاستيعاب الطلبة كل في منطقتهم لتوفير البيئة التعليمية المساعدة للتعلم بخصائصها المادية الإيجابية، ويعمل ذلك على التغلب على مشكلة المدارس التي تسير على نظام الفترتين أو الثلاث فترات.
٢. في ضوء النتيجة القائلة لن تتحقق العدالة في مجتمع من المجتمعات إلا بالتربية. نوصي بالتغلب على مشكلة التعليم الإلزامي من طرف واحد. حيث أن النظام الحالي يتيح فرصة التعليم للجميع ولكنه لا يتابع التنفيذ، فالطالب الذي يتسرب من المدرسة لا يتابع بمعاينة أولياء الأمور في حالة تغيبه، وتكون هذه التوصية تنفيذاً للمفهوم الإجرائي للعدالة في التربية.
٣. إتاحة الفرصة للطلبة للاستفادة من المرافق الحيوية في المدرسة بعد الدوام وضرورة استخدام الكمبيوتر على أسس الفرص المتساوية، وذلك ليتسنى للطلاب المحرومين من اقتنائها باستخدامها والتعامل معها أسوة بغيرهم من الزملاء.
٤. العمل على تطوير المكتبة وإثرائها بالكتب والبرامج الحديثة في مجالات التخصص المختلفة لنتيح المجال للمتعلمين البحث الذي يؤدي إلى الإبداع الفكري. مما يوسع مداركهم ويحفز قدراتهم فينمو لديهم حب المعرفة على اعتبار أن العدالة تتطلب البحث عن الحقيقة ذاتها.
٥. العمل على توفير بيئة صفية ملائمة للمتعلمين ذكورا وإناثا على حد سواء، وذلك لإتاحة المجال لتطبيق العدالة وجعلها نهجاً حياً.

٦. ضرورة مكافأة الأداء المهني المميز، وذلك بتحفيز المعلمين لاستثارة قدراتهم الإبداعية وابتكار الأساليب المناسبة لذلك. ويمكن وضع سلم للحوافز عند الطلبة، كسلم الرواتب عند المعلمين تماما، على أسس عادلة.

### المراجع العربية

- (١) أوليدوف، أ. ك. (تر)، ميشيل كيلو، "الوعي الاجتماعي"، ط١، دار ابن خلدون، بيروت، لبنان، (١٩٧٨)، ص ٤٦
- (٢) بندليي، كوستي، "المحبة والعدالة والعنف"، ط١، مطبوعات الشرق الأوسط، بيروت، لبنان، (١٩٩٣)، ٥٢-٥٥.
- (٣) تولستوي، ليف. (تر)، "موقف الديلمي"، (١٩٨٩)، "كتابات تربوية"، ط١، دار التقدم، موسكو، الاتحاد السوفياتي، (١٨٦٢)، ٢٩٠-٣١٨.
- (٤) الحشوة، ماهر، "التربية الديمقراطية"، ط١، المورد، رام الله، فلسطين، (١٩٩٩)، ٢٦-٢٧.
- (٥) ديوي، جون، (تر)، لوقا، نظمي، "الديمقراطية والتربية"، ط٧، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، جمهورية مصر العربية، (١٩١٦)، ٩٠.
- (٦) ديوي، جون، (تر)، آل ياسين، محمد، (١٩٧٨)، "المدرسة والمجتمع"، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، (١٩١٦)، ٩-١١.
- (٧) شهلا، جورج، "الموجز في تاريخ التربية"، ط١، مكتبة رأس بيروت، بيروت، لبنان، (١٩٦٥)، ٧٠-٧٧.
- (٨) صباح، الأب ميشيل، "العدل والرحمة في العقيدة الدينية: آفاق اجتماعية دينية"، بيروت، لبنان، (١٩٩٨)، ٤٥-٦٣-٩. عساف. "السنكسار"، (١)، منشورات المكتبة البولسية، بيروت، لبنان. (١٩٤٨)، ٨٨-٩٧.
- (٩) غالب، مصطفى، "أفلاطون: في سبيل موسوعة فلسطينية"، ط١، دار مكتبة الهلال، بيروت، لبنان. (١٩٨٥)، ٦٤-٩٤.
- (١٠) الفار، جورج، "الفكر المسيحي في عملية التربية والتعليم: أجيال"، البطريركية اللاتينية، عمان، الأردن، (٢٠٠٠)، ٤٦-٤٧.

- (١١) مرسى، عمر منير، "التربية الإسلامية: أصولها و تطورها في البلاد العربية"، عالم الكتاب، القاهرة، مصر، (١٩٨٢)، ٨٠ - ١٢٣.
- (١٢) مروة، حسين، "النزعات المادية في الفلسفة العربية الإسلامية"، (٢)١، دار الفارابي، بيروت، لبنان، (١٩٨٥)، ٣٥٩-٦٤٩.
- (١٣) منرو، بول (تر) عبد العزيز، صالح. وعبد القادر، حامد، (١٩٧٨). "المرجع في تاريخ التربية"، (٢)١، مكتبة النهضة المصرية، (١٩٥٨)، ١٣٥:١٥٢.
- (١٤) ناصر، إبراهيم، "مقدمة في التربية"، ط٨، دار عمار، عمان، الأردن، (١٩٩٦)، ١٥٧ - ١٦٤.
- 15) Bertalanffy., L.V., General system theory: a critical review. W. Buckley. (Ed.). "Modern system research for behavioral scientists". Chicago: Aldine. (1968), 11-36.
- 16) Boland, J., "Equitable practice". North West: Regional Educational Research Laboratory, Equity Center. U.S.A., (1999), 1-12
- 17) Brubacher, J. S., "A History of the problems of education". (2ed.).NY: McGraw-Hill Book Company. U.S.A., (1966), 101-105,347,508).
- 18) Brubacher, L.W., "Reflective practice and teacher, becoming a reflective educator", Corwen Press, INC. (1994), 5-25.
- 19) Chaplin., J.P., "Dictionary of psychology", NY: NY. Del Publishing Company, (1968), 366.
- 20) Cook, K.S., & Megtredt, K. A., Distributive justice: equity and equality. *Annual Review of Sociology*. (9), (1983), 217 – 241.
- 21) Evans, K. M., & King, J.A., "Out come- based gifted education: can we assume continued support? *Report Review*, 16(4), (1994), 260-264.
- 22) Sills. D.L., "International Encyclopedia of Social Sciences", (7). NY: NY. Macmillan Com. the Free Press, (1986), 366.
- 23) Smith, P. L., & Traver, R., "Classical living and classical learning", the search for equity and excellence, In M.C. Smith. (Ed.). Proceedings of the Annual Midwest Philosophy of Education Society, Chicago, MPES, (1983), 79 - 92.
- 24) Starratt, R. J., "Building an ethical school: a theory for practice in educational leadership", *Educational Administration Quarterly*. 27(2). (1991), 185- 202.
- 25) Steers., R.M., & Porter., L.W., "Motivation and work behavior", NY: NY. McGraw - Hill., (1983), 293.
- 26) Tanner, D., & Tanner, L., "Curriculum Development: Theory into Practice. New York: Macmillan, (1975), (chapter:1)

- 27) Weller, L.D., “The equity factor: a vital part of quality education”, *Quarterly Assurance in Education*, **3(4)**, (1995), 44 - 50).
- 28) Zimmerman, E., “Excellence and equity issues in education”: can we do excellence and equal too? *Art Education Policy Review*. **98(4)**, (1997), 7 - 20.